انعكاس
المعتقدات الشعبية في ديوان الشريف الرضي

حديث شيخ اسدى*
طالبة الدكتورا اللغة العربية و آدابها
جامعة الشهيد چمران الأهواز- كلية الالهيات و المعارف الإسلامية - إيران
asadihadis68@gmail.com
الأستاذ المساعد الدكتور
صادق سياحى
جامعة الشهيد چمران الأهواز- كلية الالهيات و المعارف الإسلامية - إيران
dr.s.sayyahi@gmail.com
الأستاذ الدكتور
حسن دادخواه
أستاذ اللغة العربية و آدابها - جامعة الشهيد چمران الأهواز- كلية الالهيات و
المعارف الإسلامية - إيران
h.dadkhah@scu.ac.ir

Reflection of popular beliefs in the Office of the Holy Land

Hadeth Shakh Asdi
PhD student Arabic language and literature
Shahid Jumran University Ahwaz - College of Islamic Divinity and Knowledge - Iran
asadihadis68@gmail.com
Assistant Professor Dr
Sadiq Sayahi
Shahid Jumran University Ahwaz - College of Islamic Divinity and Knowledge - Iran
dr.s.sayyahi@gmail.com
Professor Dr
Hassan Daddakhah
Professor of Arabic Language and Literature, Shahid Jumran Al Ahwaz University, College of Islamic Theology and Knowledge, Iran
h.dadkhah@scu.ac.ir

الملخص:

هنـاك صـلة وطيـدة بـين الأدب الشـعبي بعناصره المتعـددة وبـين حيـاة النـاس وثقـافتهم الشـعبيتين ولم تـزل تكـوّن المعتقـدات الشـعبية جـزءاً مـن ثقافة الشعوب ولغـاتهم وآدابهـم وإن لم تكن خالية عن الخرافات ولـذلك يسـتفيد كبـار الشـعراء والكتّـاب مـن عناصـر الثقافـة الشـعبية بمختلـف الأشكال لنقل أفكارهم. ونلاحظ أن انعكـاس الثقافـة الشـعبية في أعمـال الأدبـاء الـذين يتمعتـون بشـعبية أكثـر أقـوى مـن سـائر الشـعراء. كـذلك اسـتخدم شـعراء العصـر العباسـي وكتّابـه معتقـدات النـاس العاديـة والشـعبية كمـادة لشـعرهم ونثـرهم ليضـفوا طابعًـا دينيًـا وقوميـا علـى أعمـالهم ويحصـنوا ثقافـة مجـتمعهم وسـننهم مـن أذى النسـيان وينقلوهـا إلى الأجيـال القادمـة. إن أشـعار الشـريف الرضـي بصـفتها أحـد أبـرز أعمـال هـذا العصـر مملـوءة بـالآداب والسـنن والمعتقـدات الشـعبية الخاصـة بهذا العصر.

الكلمـات المفتاحيـة : الشـعبية ، الشـريف ، الرضـي ، البخـت ،الدموي، الحظ ، الدية.

Abstract:

Popular literature with its various elements, with the fusion of unbroken human life and popular culture and folk beliefs are still part of the culture and language of nations, even if they are not free from superstitions. Therefore, the poets and great writers, from the elements of folklore for creating image or transmission their ideas and goals for various forms of interest. A reflection of popular culture in the works of artists who have higher by popular base, the stronger the poets and other writers. the poets and writers Abbasids, as well as from the beliefs of ordinary and common people, as one of the themes of the poetry and in prose itself have used up their effectiveness colors of religious and ethnic forgiven, culture and traditions of their communities from the harm of amnesia keep transfer to future generations.

Keywords: Popular, Sharif, Razi, Bakht, bloody, luck, blood.

المقدمة

تمثل ثقافة كل شعب وآدابه طريقة تفكيره وكيفية نظرته إلى عالم الكون وكيفية حياته الاجتماعية. وللثقافة والأدب الشعبيين إسهامهما الخاص في هذا الأمر وذلك لأنهما قريبان من حياة جمهور الناس ومن شأنهما أن تعكسا الميزات الثقافية لشعب من الشعوب بصورة أفضل(بيهقي، ١٣٦٧: ٣٩).

وكما أن أسماء الشعراء الحرفيين والمنسوبين إلى عامة الناس لها مكانتها في الشعر الفارسي إلى جانب أسماء الشعراء المعروفين بالفضل والأدب كذلك نجد نفس الأمر في الأدب العربي حيث انعكست إلهامات العامة ومصطلحات أشغال أصحاب الدكاكين والمعتقدات الشعبية وما إلى ذلك في أشعار بعض الشعراء سنتعرض لجانب منها في هذا المقال (ذكاوتي، ١٣٦٦: ٢٥).

من أهم العناصر الدراسية في مجال الثقافة الشعبية الالتفات إلى المعتقدات الشائعة بين الناس ومن شأن الأشعار النابعة من جماهير الناس أن تكون مظهراً جيداً لهذا الأمر (سلحشور، ١٣٨٤: ١٢٤).

فكما قال صادق هدايت: «ما يمتلكه الشعوب القديمة من المعتقدات والخرافات الشعبية أكثر مما يمتلكه الشعوب الحديثة منها» (هدايت، ١٣٥٦: ٥٣).

هذا وتكوّن المعتقدات جزءاً هاماً من الأدب الشعبي وتعتبر دراستها من الدراسات الأنثروبولوجية (روح الأميني، ١٣٧٦: ٥٣). ولها مجالات واسعة فتشمل أشياء مثل الزواج وطلب اليد والإصابة بالعين والطب الشعبي والتنبؤ والتفؤل وما إلى ذلك وهناك صلة قريبة ووطيدة بين الملل الشعبية والمعتقدات ويعدّ كثير منها مظهراً ملموساً للمعتقدات الشعبية (شميسا، ١٣٧٧: ٨٩).

إن ثقافة العصر العباسي تحتاج إلى دراسة تليق بها وذلك بسبب سعة نطاق الحكم في هذا العصر وضمه لمختلف الشعوب وتواجد شرائح فقيرة في المجتمع العباسي ما أضفى طابعًا شعبيًا على الأدب العربي في هذا العصر.

ولأدبه مكانة خاصة بسبب تمتعه بميزة خاصة وهي أن هناك صلة قريبة بين أدب هذا العصر بصورة عامة وشعره بصورة خاصة وبين اللغة والثقافة الشعبيتين فقد شهد هذا العصر شعراء مكدين وفقراء وخارجين عن المعيار قدموا صورة لتغيير قيمهم وآلامهم وكذلك صورة لتغيير قيم شرائح مجتمعهم الفقيرة وآلامهم واكتسبوا دخلًا وشهرة عبر ذلك وأضفوا طابعًا شعبيًا على الأدب العربي. وبالتالي أصبح أدباء العصر العباسي لديهم ذوق أدبي جديد أدى إلى تغيير كثير من الأفكار والمفاهيم الأدبية وبالتالي إلى تغيير كثير من المنتجات الفنية.

من نماذج هذا التغيير في الأفكار والمفاهيم الأدبية أن الشعر العربي من العصر العباسي فصاعدًا اتجه نحو جماهير الناس إلى حد كبير وزال طابعه الأرستقراطي بصورة لافتة للنظر. ومن مصادر الأدب الشعبوي في هذا العصر الأدب المتعلق بالمكدين والمحتالين والطفيليين والصعاليك والبؤساء ومن إلى ذلك. وقد شاع في هذا العصر شعر كان مخاطبه قسمًا عظيمًا من جماهير الناس وتجلت هذه الظاهرة أول الأمر في شعر بشار ثم ظهرت في قصائد أبي العتاهية وأبي نواس والمتنبي والشريف الرضي ثم في قصائد كثير من الشعراء من الطبقة الثانية وخاصة في قصائد شعراء شعبيين مثل أبي الشمقمق وابن الحجاج وابن سكّرة ومَن إلى ذلك (إسماعيل، ٢٠٠٩: ٣٣١-٣٣٢).

وهناك أسباب للجماعية والشعبوية وغلبة الروح الجماعية في العصر العباسي الثالث (٣٣٤-٤٤٧ هـ). من أهمها أن «عامة الشعراء كانوا من

الشرائح الضعيفة وطبقة العمال ولم يظهر من طبقة الأرستقراطيين والأعيان إلا شعراء قلائل. حتى أن الشعراء الذين كانوا يجلسون على مائدة الخلفاء ويعيشون في قصورهم حافظوا على اتصالهم بجمهور الناس ومعنوياتهم» (ضيف، ٢٠١٠، ج ٤: ٥٠٠).

ونتيجة لذلك وللشعور باليأس والإحباط ظهر شعر يعتبر في الظاهر شعراً بسيطًا وشعبيًا وأداة للنزهة وتمضية الوقت غير أنه في الحقيقة وفي معناه البعيد يدل دلالة قوية على رفض هذه الفترة وكافة قيمها المحرفة (إسماعيل، ٢٠٠٩: ٢٨٥).

لهذا يعدّ الإيمان بشعبوية الشعر والرغبة في إرضاء عامة الناس إحدى ميزات الشعراء المذكورين الذين منهم الشريف الرضي فأشعاره تشتمل على الثقافة والمعتقدات الشعبية ويكون تحليلها قيمًا وفي نفس الوقت صعبًا. إن الشريف الرضي قد أضفى طابعًا دينيًا ووطنيًا على أشعاره بواسطة استخدام معتقدات الناس العادية والشعبية وقام بترويج الثقافة الشعبية. ونحن حاولنا في هذا البحث أن نتناول معتقدات شعبية متجذرة في الخرافات استخدمها الرضي في أشعاره بشكل أو بآخر.

أسئلة البحث

١. ما هو أبرز المعتقدات الشعبية في شعر الشريف الرضي؟
٢. ما هو أثر معرفة المعتقدات الشعبية والثقافة الشعبية في فهم أفضل وأكثر لأشعار الشريف الرضي؟

فرضيات البحث

١. إن أبرز المعتقدات الشعبية في شعر الشريف الرضي كالتالي: الإصابة بالعين والإيمان بالبخت والحظ ومرض العشق وما إلى ذلك.

٢. بما أن أحد المحاور الرئيسية لأشعار الشريف الرضي هو القضايا والمعتقدات الشعبية فإدراك صحيح لهذه المعتقدات تجعل فهم أشعار الشريف الرضي أسهل بكثير ويؤدي إلى اقترابنا إلى جزء من معتقدات الناس الذين عاصروا هذا الشاعر.

منهج البحث وخلفيته

قد اتبع هذا البحث المنهج المكتبي الوصفي التحليلي. أما عن خلفية البحث فنقول ليس هناك بحث شامل حول الثقافة والمعتقدات الشعبية في العصر العباسي بصورة عامة وأشعار الشريف الرضي بصورة خاصة. فمثلًا قد كتب كارين صادر مقالًا شبيهًا بالتقرير تحت عنوان "أدب التحامق في العصر العباسي" في مجلة المعرفة (سنة ٢٠٠٧م، رقم ٥٢٤) قام فيه بتعريف ثلاثة شعراء شعبيين (وهم صريع الدلاء وأبو العجل وأبو العبر) وذكر بعض أخبارهم وأشعارهم غير أنه لم يبين بتفصيل أسباب الاتجاه نحو هذا النوع من الأدب ومواضيع مثل هذه الأشعار. كما ينقص مقاله منهج البحث وخلفيته والاستنتاج ولا يحتوي على مكونات مقال علمي. كذلك كتب طاهر حجار خرفان رسالة تحت عنوان "الاتجاه الشعبي في شعر العصر العباسي الأول" سنة ١٩٨١م تطرق في صفحات قليلة منها إلى بعض أسباب الاتجاه إلى الأدب الشعبي في العصر العباسي الأول وأكثر ما تناوله هو الثقافة والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بحيث لا يمكن إطلاق اسم الرسالة على ما كتبه. ثم هناك رسالة أخرى تحت عنوان "بررسي باورهاي عاميانه در شعر جاهلي عرب" (دراسة المعتقدات الشعبية في شعر العرب الجاهلي) ألفتها حورية دقتي تناولت فيها المعتقدات الاجتماعية والدينية والطبية والأساطير وتوصلت في نهايتها إلى وجود معتقدات في الجاهلية لها جانب خرافي. كذلك أشار كتب تاريخية بصورة غير مباشرة ومشتتة إلى أثر المعتقدات الشعبية في أشعار العصر

العباسي منها "الأدب العباسي؛ الرؤية والفن" لعز الدين إسماعيل و"الشعر في العصر العباسي: مظاهره وأهم اتجاهاته" لعلي نجيب عطوي. فعلى الرغم من أن هناك بحوثًا كثيرة حول الشريف الرضي وأشعاره إلا أنه لم يتناول أحد منها أشعاره عبر اتجاه هذا المقال. لهذا حاولت كاتبة هذه السطور أن تتناول معظم نواحي هذه الظاهرة التي انتشرت انتشارًا كبيرًا في العصر العباسي وتتطرق إلى بعض المعتقدات الشعبية المتجذرة في الخرافة التي استخدمها الشريف الرضي في أشعاره. فهذا المقال هو دراسة عميقة ومفصلة حصرت نفسها في دراسة الميزات الأدبية والأسلوبية لأشعار الرضي في تطرقها إلى مضامين متمثلة في المعتقدات الشعبية.

الشريف الرضي والمعتقدات الشعبية

قد شهد التاريخ طوال مختلف فتراته رموزًا بارزة تعرضت للإهمال واختفت وراء غيوم التعصب على الرغم من مكانتها العالية. كذلك شهدت الفترة الذهبية للعصر العباسي عددًا كثيرًا من هذه الرموز منها شعراء المذهب الشيعي الذين منهم الشريف الرضي حيث يعتبر من الرموز العلمية والأدبية المشهورة والبارزة لهذا العصر الذهبي. ولد الرضي عام ٣٥٩ هـ في أحد أحياء بغداد ذي الأغلبية الشيعية يسمى كرخًا. وكان نسبه يرجع إلى أسرة كبيرة من السادات الهاشميين وآل أبي طالب ولهذا لُقّب بالشريف. وكان أبوه أبو أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم المجاب بن الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) وكان ملقبًا بالطاهر الأوحد ذي المناقب «وكان قديمًا يتولى نقابة الطالبيين والحكم فيهم أجمعين والنظر في المظالم والحج بالناس ثم ردت هذه الأعمال كلها إلى ولده» الشريف الرضي (الثعالبي، ٢٠٠٠: ١٥٥).

تعتبر أشعار الشريف المرتضى نموذجًا كاملًا من الشعر العربي فأغلب ألفاظها وعباراتها فصيحة وبسيطة وشريفة وكان الرضي يعبر عن مقصوده

بعبارات سلسة وبعيدة عن التكلف. وما نراه ملموسًا في ديوانه هو تأثير الظروف السائدة في تلك الفترة فيه؛ وتلك فترة انتقل الشعر فيها من البلاط إلى المجالس والأوساط وأصبح سامعوه ناسًا عاديين وعاميين يرفضون ثقل الكلام (زكي مبارك، ١٩٨٨: ١٦٧). وقام الشريف الرضي بتقريب لغة شعره إلى لغة الناس بواسطة إدراكه الصحيح لظروف عصره واستخدم لأجل إفهام أكثر لأشعاره ضرب أمثال أبدع هو بنفسه أكثرها.

إذن يدل وجود الثقافة والأدب الشعبيين في ديوان هذا الشاعر على أنه شاعر يرى ذروة شعبوية الشعراء في أسلوبهم الشعري وهذا بدوره يدل على كثرة استخدام المعتقدات والثقافة الشعبية في شعره.

وكان أحد أساليب الشعراء العباسيين بمن فيهم الشريف الرضي سعيهم إلى أن يتبعوا المضامين المستخدمة في دواوين الشعراء السابقين بتصميم جديد وفي قالب كلمات جديدة (مصطفى سعد الهادين، ٢٠١٣: ٢٣١). وأسهم الشريف الرضي في استخدام كثير من المعتقدات الشعبية بما فيها الخرافات بصفتها جزءًا من ثقافة العرب ولغتهم وآدابهم ولا شك في أنه كان ناجحًا في هذا الطريق. وتدل دراسة هذه المعتقدات في ديوان الشريف الرضي والمعتقدات التي يعتبرها البعض خرافات على واقع يقول إن هذه المعتقدات كانت تؤثر في حياة البشر في زمن ما.

إن مظاهر المعتقدات الشعبية في ديوان الشريف الرضي كالتالي:

١- الدمع الدموي

يعدّ خروج الدمع من الكبد أحد معتقدات القدماء التي نراها في آداب الشعوب سواء كانت نثرًا أم شعرًا واستخدم فيها على شكل بكاء الدم والدمع الدموي وما إلى ذلك. فكان القدماء يظنون أن «الكبد مكان اجتذاب الماء ويرون أن الدمع ينصب من مصدر ماء الكبد وعندما يتنهي الماء في الكبد

بسبب الدموع تستمد العين من الدم للدمع وعلى هذا الأساس يحدث الدمع الأحمر والدموي» (صادق الجمال، ١٩٦٦: ١٠٧). «إن القلب معدن الحرارة والكبد حار أيضًا وهو معدن تولد الدم وهو في الجانب الأيمن» (حسيني جرجاني، ج ١، ١٣٥٠: ١٧٨).

يعتبر البكاء أحد أبسط الطرق لتفريغ الآلام والآمال الباطنية ولا ينحصر في قوم أو مجموعة خاصة أو زمن ومكان خاصين. وللدمع مكانة خاصة في الثقافة الإسلامية الغنية وتعتبره أحد مصادر الراحة النفسية للإنسان وقد طرح فيها البكاء بمعنى البكاء المرضِي عند الله والخشية بمعنى الخوف الواعي من الله. ويصل الإنسان عبر تركيب هاتين الخصلتين الجميلتين إلى مقام الخضوع والخوف من الله ويطأ طريق العبادة بصفته أفضل مخلوق.

والأدب العرفاني مملوء بتعابير قيمة حول الدمع وهذا بدوره يعبر عن أسرار الدموع الياقوتية التي تغسل جوهر النفس وتصقل الروح الإنسانية من صدأ الذنوب والسيئات. هذا ويعد الدمع في المعتقدات الطبية الشعبية دم الكبد ويرى القائلون بها أن الدم يتولد في الغدد الدمعية التي في الكبد. ثم يأتي إلى أعلى الجسد (أي الجبين). ثم يجري من مجاري الدمع ويخرج من الرموش وبعد أن تخلو الغدد الدمعية من الدموع يخرج دم الكبد من الرموش بدل الدمع. فلم يكن القدماء يعلمون أن ملوحة الدمع تجعل شرايين العين حساسة وحمراء ولهذا كانوا يعتبرون الدمع دم الكبد وكانوا يستخدمون بكاء الدم بدل بكاء الدمع في مبالغاتهم.

إن دموية الدمع تركيب نراه في كثير من الأشعار العربية. كذلك نجده في أشعار الشريف الرضي فمثلًا يدعو أصحابه في البيت التالي إلى أن يجعلوا كل عيون العالم تبكي دمًا بدل الدمع في رثاء مجموعة من أصدقائه وأسرته:

قِفُوا فَأَمطِرُوا كُلَّ عَينٍ دَمًا بِهَا وَامْلَؤُوا كُلَّ قَلبٍ وَجِيا

(الرضي، ١٩٩٥، ج ١: ١٦٣)

ويأمر عيونه في بيت آخر أن تصب دمًا بدل الدمع للمصيبة التي حدثت له:

وَقُلْتُ لِجَفْنِي رُدَّ دَمْعًا عَلَى دَمٍ وَلِلْقَلْبِ عالج قرح ندب على ندب

(المصدر نفسه: ١٦٠)

٢- الاعتقاد بالإصابة بالعين

إن الاعتقاد بالإصابة بالعين اعتقاد ضارب في القدم وكان موجوداً بين مختلف الشعوب. وأكّد القرآن صحتها. فيعتبر المفسرون قوله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ۝٥١ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (القلم/٥١-٥٢) نزّل بشأن الإصابة بالعين وردّها. كذلك نجد الاعتقاد بالإصابة بالعين في الثقافة الغربية نوعًا ما. وكان هذا الاعتقاد من المعتقدات الجاهلية شاعت في ثقافة العصر الإسلامي وكان العرب الجاهليون يؤمنون بها إيمانًا شديدًا وكانت معروفة عندهم بـ"عين الكمال" (المرزوقي، ١٩٧٦: ١٢٥).

من المعتقدات الهامة والأساسية في الثقافة الشعبية الأذى الذي يتصور أنه يلحق بالإنسان بواسطة نظر شخص معين إليه ويسمى في اللغة الفارسية "چشم زخم" أو "چشم رساندن" أو "چشم زدن". إن الإيذاء بالعين هو الأذى والنقص اللذين يصاب بهما إنسان أو شيء لأجل نظر أشخاص معينين إليه أو ثنائهم عليه. ففي رأي العوام لنظر العدو أو الحسود أو شخص يفتقر إلى شيء ويطلبه وأحيانًا لثنائه مثل هذا الأثر ويسمى الشخص الذي يتصور أن لعينه هذا الأثر في اللغة الفارسية "بدچشم" و"شورچشم" و"چشم‌شور" و"چشم‌رسان".

ويطلق على الإيذاء بالعين في اللغة العربية مصطلحات مثل الإصابة بالعين والعين اللامّة وعين الكمال والإزلاق بالأبصار. ويسمى الذي يصيب

بعينه العائن وإن كان محترفًا في الإيذاء بالعين سمي معيانًا أو عيونًا ويسمى المصاب بالعين معينًا أو معيونًا.

كذلك نجد هذه العقيدة في أغلب المجتمعات والحضارات القديمة فعلى سبيل المثال نرى في ثاني الفترات الهامة لحضارة مصر الذي تطلق عليه فترة المملكة الوسطى (١٧٨٣-٢٠٤٠ ق.م) أن الحكام الإقليميين البلاطيين قاموا بواسطة كتابات سحرية بالاستيلاء على الامتيازات الخاصة للسلطة في تحديد مكانتهم في الحياة بعد الموت. فتحولت توابيتهم إلى صناديق ما وراء الطبيعية زينت وروفقت بتصاميم متعلقة بكفنهم ودفنهم خطابًا لأنوبيس وأوزيريس وتعويذات تسمى "عيون حورس" وبضائع تجميلية وحصة غذائية ومئات أوراد مكتوبة وخرائط للعالم السفلي وتم تصميم كل هذه الأشياء لإحباط قوى الفوضى وتقوية معنوية صاحبها والأمل في الانضمام لزمرة أصحاب رب الشمس. كذلك كان يؤمن العرب والأحباش وأقوام كثيرة غيرهما بالإصابة بالعين وكانوا يظنون أن الماشية والأطفال هم الضحايا الرئيسيين لها ولهذا كانوا يستخدمون تعويذات وحرزًا لردها وغالبًا ما كانوا يعلقون أجزاء من النصوص المقدسة أو حرزًا أو أدعية أخرى على الأشخاص أو الخيول أو النوق أو سائر الماشية (محمدي، ١٣٨٦: ١٠-١٢).

إن الإصابة بالعين (evil eye) هي نظرة تتصور أنها قادرة على الإيذاء لشخص أو قتله. ويرى العوام أن الأطفال والماشية هم الضحايا الرئيسيين لها وكانت هذه العقيدة موجودة في اليونان وروما القديمة وفي السنن اليهودية والإسلامية والبوذية والهندية وفي الثقافات الشعبية للمجتمعات البدوية والأمية واستمرت إلى العصر الحديث (وارينگ، ١٣٧١: ١٥٧). ويتصور في أكثر السنن أن الأشخاص الغرباء والمعاقين والعجائز هم الأكثر إصابة بأعينهم(خرمشاهي، ١٣٧٦: ٧٧٥-٧٧٣). ويمكن رد الإصابة بالعين بواسطة الخرزات والأضمدة وذبح الاضاحي (ياحقي، ١٣٨٦: ٣٠٣).

كذلك نصادف هذه العقيدة في أشعار الشريف الرضي فمثلًا يرى الرضي في البيت التالي أن السيف أفضل تعويذة للاحتراز من حب نساء ذوات عيون واسعة وجميلة:

وَالسَّـــيْفُ أَولَـــى أَنْ أَعُـــوذُ بِـــهِ مِمَّـــا تَجُـــرُّ الأَعْـــيُنُ النُّجْـــلُ

(الرضي، ١٩٩٥، ج ٢: ١١٩)

ويرى في بيت آخر أن الإنسان القوي الشجاع يجب أن يحصن قوته وشجاعته بتعويذة الجود والكرم:

وَلَيْسَ فَتًى مَنْ يَدَّعِي البَأْسَ وَحْدَهُ إِذَا لَـــمْ يُعَـــوِّذ بَأْسَـــهُ بِسَـــخاءِ

(المصدر نفسه، ج ١: ١٣)

٣- الإيمان بالبخت والحظ

كان القدماء يؤمنون بتأثير الجبر والبخت والحظ في تحديد مصير الإنسان أكثر من إيمانهم بإرادته واختياره فيه. كذلك كان العرب يرون أن الحصول على الجيد (الحظ) إنما هو مرهون بالتوسل بالآلهة بمعنى أن الإنسان ما عنده خيار أو قوة لتحديد مصيره. ثم دخلت مفاهيم البخت وسواد البخت وسوء البخت وبياض البخت في الأدب العربي وأخذ الشعراء العرب يستخدمونها وغالبًا ما كانوا يتحدثون عن البخت السيء والبخت الجيد (طاهري سروتمين، ١٣٩٠: ٢٩).

كذلك نجد هذه العقيدة في أشعار الشريف الرضي فعلى سبيل المثال أشار في الأبيات التالية إلى أن الناس مختلفون في امتلاك الحظ وزعم أن ما يلعب دورًا أكثر تأثيرًا في حياة الإنسان هو الحظ والبخت فمهما بذل جهدًا للوصول إلى المجد والعظمة لن يصل إليهما إلا إذا رافقه الحظ وذلك لأننا نرى حولنا أشخاصًا يتمتعون بجدارة أقل منا غير أنهم وصلوا إلى مناصب أعلى منا.

فقال شاعرنا في البيت التالي إنني ذو أصل ونسب شريف إلا أنه لايفيدني وذلك لأنني فقير وهذا من حظي.

مـا يَنْفَـعُ المَـرْءَ أحسـابٌ بِلَـا جِـدَّةٍ أَلَـيْسَ ذا مُنْتَهَـى حَظِّـي وذَاكَ أَبِـي

(الرضي، ١٩٩٥، ج ٢: ٤٤٧)

فَـآهٍ عَلَـى الـدُّنْيَا إِذِ الجَـدُّ صَـاعِدٌ وَاوه مِـنَ الـدُّنيَا إِذِ النعـل زلـت

(المصدر نفسه: ٣١٢)

٣- امتلاك الجبين

قد سمعنا مراراً عبارات مثل "لفلان جبين" و"ما أطول جبين فلان" و"لفلان جبين أبيض" وفسّر العوام بسهولة حديث "جفّ القلم بما هو كائن" بأن"مصير كل مولود مكتوب على جبهته" وكالعادة ظهرت مجموعة من الرمالين وقارئي الكف حاولوا أن يصطادوا في ماء عقيدة العوام العكر ويخيطوا جيوبًا لأثوابهم عبر الادعاء بأنهم يمكنهم التنبؤ بمصير الناس من خلال قراءة خطوط الجبين والأكف (الحلي، ١٩٨١: ١٠٢) وصدرت أحكام بهذا الشأن فمثلًا يدل الجبين الخالي عن التجاعيد على العداوة والبلاهة والتبجح ويدل الجبين الضيق على الوضاعة والبخل والعجز ويدل الجبين المتوسط على الفهم والعلم والذكاء والتدبير. والجبين الطويل هو الثروة والمال والجبين القصير هو الفقر والذل (هدايت، ١٣٥٦: ٥٣).

كذلك نجد هذه العقيدة في أشعار الشريف الرضي فمثلًا يشير في الأبيات التالية إلى الجبين الطويل الذي يعتبر من علامات الحظ السعيد. وما كوّن أغلب محاور المعتقدات الشعبية في هذه الأبيات هو الإيمان بسعد الأيام ونحسها وتأثير النجوم في مصير شؤون هامة مثل الحرب وفي بيت آخر نرى شاعرنا يؤمن بالمعتقدات الشعبية ووصف ممدوحه بأن جبينه الأبيض جميل ومنير ويشبه نجمة وذهب في بيت آخر إلى أن نُبل العدو يدل على جبينه الطويل.

وَكَـــــأَنَّ غُرَّتَـــــهُ وَرَاءَ ل ثـــــام لَيْلَتـــــه شـــــهَاب

(الرضي، ١٩٩٥: ٤٨/١٧١)

فِـي فِتْيَـةٍ سَـلَبُوا النَّهَـارَ ضِـيَاءَهُ وَرَمَـوا بَيَـاضَ جَبِينِـهِ بِسَـوَادِ

(المصدر نفسه: ٥١٧)

فَلَـثَمَّ أَبْلَـجُ إِنْ أَهَـلَّ جَبِينُـهُ جمحـت إليـه خـواطر ونـواظر

(المصدر نفسه: ٥٥٢)

وَكَـمْ وَطِئَـتْ أَقـدامُنَا فِـي تُرابِهَـا جَـبِينَ أَخِـي كِبْـرٍ وهامَـةَ أَبلـج

(المصدر نفسه، ج ١: ٢٦٠)

٤- الدم والمعتقدات المتعلقة به

يرى العوام «أن الدم الذي أريق على الأرض ظلمًا يجد مُريقه في نهاية المطاف وينتقم منه ويذهبون إلى أن روح القتيل لا ترتاح إلا إذا انتقمت من قاتله. وربما لهذا السبب كان يتم توفير ظروف عند قتل الأشخاص حتى لا يراق دمه على الأرض ويثير مشكلة (مظهري صفات، ١٣٨٩: ٤١). وكان مألوفًا في القديم «أن يبكي الملوك على إراقة دماء الأشخاص في مجلس النطع ويذرون الرمال الحارة على النطع لأن تجذب الدماء ولا يتسخ ما حوله بها» (شميسا، ١٣٧٧: ٥٣٨).

٤-١-٦- الخضاب بالدم

إن الخضاب بالدم كناية عن القتل وكان الخضاب أحد طرق القدماء للتجميل وكان الرجال يخضبون شعرهم ولحاهم أحيانًا وكان الخضاب بالدم يستخدم عندما كانت تقدَّم رقبة شخص للسياف وكانت الدماء تراق من رأسه ووجهه وكانت تصب على لحيته.

شرف رضی نیز در اشعار خود از این باور عامیانه یاد کرده است و میگوید شمشیرهای برّان از شما در مقابل دشمن محافظت میکند و مانع ریختن خون شما شدند گویا این شمشیرها با محافظت

از شما خونتان را پنهان نمودند و پنهان شدن خون به پنهان شدن موی سفیدِ بر اثر حنا تشبیه شده است.

كذلك أشار الشريف الرضي في أشعاره إلى هذا المعتقد الشعبي فعلى سبيل المثال قال في البيت التالي إن السيوف الحادة تحفظكم أمام الأعداء وتحول دون إراقة دمائكم فكأن هذه السيوف خبأت دماءكم عبر الحفاظ عليكم كما يخبئ الحناء شيب الشعر الأبيض.

كتمت دمائكم الظبا كالشَّيْبِ يَكْتُمُهُ الخِضَابُ

(الرضي، ١٩٩٥: ١٩٣)

وأين القنا كبنان الهلوك بِمَاءِ الطَّلَى أَبَدًا خَاضِبُ

(المصدر نفسه: ٢٠٢)

٢-٦ دية الدم

إن الدية لغة هي عوض إراقة الدم وقتل شخص (دهخدا، ١٣٦٠: مدخل خون بها) وجمعها الديات ومادتها "ودي" بمعنى الطرد والرد. وهي مصدر وكان أصلها "ودي" فحُذفت الواو وعُوّض عنها التاء (الفراهيدي، ١٤٠١: مادة ودي).

أما الدية اصطلاحًا فهي المال المؤدى إلى المجني عليه أو وليه بسبب الجناية على النفس أو ما دونها (شيخ صدوق، ١٤١٣: ١٥٠، ج ٤).

ووفقًا للأفكار الأسطورية كان العوام يرون أنه إذا قُتل شخص لا ترتاح روحه ولا يمكنها دخول الجنة في العالم الآخر ما دام القاتل حيًا واهتم الإسلام بانتقام الدم على شكل القصاص (محجوب، ١٣٨٢: ١١٤)

كذلك نجد هذه العقيدة في أشعار الشريف الرضي فمثلًا يشير في البيت التالي إلى لزوم الانتقام:

يُذَكِّرُهُ أَخْذَ أَوْتَارِهِ صَهِيلُ السَّوَابِقِ حَوْلَ القِبَابِ

(الرضي، ١٩٩٥، ج ١: ١٧٥)

ويعتبر في البيت التالي الدهر سبب موت المرثيّ ويرى أنه يجب الأخذ بثأره من الدهر والمصير.

لَنَـا فيـكَ عِنْـدَ الـدَّهْرِ هزيعـه وانـي لثـارات المَقَـادِير طَالِـب

(المصدر نفسه: ٢٠٧)

وأمـلاك يـرون القتـل غنمـا وفي الأمـوال لـو قنعـوا فـداء

هـم اسـتولوا علـى النخبـاء منـا كمـا اسـتولى علـى العـود اللحـاء

(المصدر نفسه: ٤١، ٣,٤)

٥- مرض العشق

كـان القـدماء يـرون أن العشـق مـرض. فمثلًـا يعتـبر ابـن سـينا في كتابـه "القانون" العشق من الأمراض ويشير إلى طرق علاجه. فيقول في ذلك: العشق «مرض وسواسي شبيه بالماليخوليا يكون الإنسان قد جلبه إلى نفسه بتسليط فكرته على استحسان بعض الصور والشمائل التي له» (ابن سينا، ١٣٥٤ ، ج ٢: ١١٢)

كذلك يرى الشريف الرضي العشق وجعًا يعجز الأطباء عن علاجه:

دَعُـوا لِـي أَطِبَّـاءَ العِـرَاقِ لِيَنظُـرُوا سِقَامِي وَمَا يُغنِي الأَطِبَّاءُ فِي الحُبِّ

(الرضي، ١٩٩٥: ٩٧)

ويرثي في البيت التالي أخته ويقول إن موتها أمرض قلبه:

فكيـف بطـرف لحظـه لحـظ مـدنف سـقيم وجسـم قلبـه قلـب عاشـق

(همان: ٢٣)

يـا دَيـنِ قلبـك مـن بـا رِقِ يُـنِيرُ وَ يَحْبُـو

فـىه مـن الـعىن مـاءٌ لا بُـلْ مِـن القَلْـبِ خِلْـبُ

(المصدر نفسه، ج ٢: ٢٣١)

ويقول في مكان آخر: أثّر حب الحبيب في جسمي فأضناه.

وجسـم اذا جردتـه مـن قميصـه على الناس قالوا هكذا يفعل الحب

(المصدر نفسه: ٨/٢٥٢)

ويقول في البيت التالي: أنا في حالة بين الخوف والرجاء بحيث أخاف على نفسي من مرض العشق ومن جانب آخر لا أزال أرجو الوصول إلى الحبيب ولقائه ولم يتبدل رجائي إلى اليأس بعد.

داء طلبت له الاساة فلم يكن إلاّ التّعَلّلُ بالدّمُوعِ طَبيبُ

ابقوا عليلاً بعدهم لا برؤه يجى ولا الامال فيه تخيب

(المصدر نفسه: ٢٦٩/ ٥، ٦)

٨- القرين

كان القدماء يرون أنه يخلق متزامنًا مع ميلاد كل إنسان كائن من الجن يشبهه تمامًا وينمو معه ويمكن أن يلتقيا بعضهما ببعض أحيانًا (داستايفسكي، ١٣٦٨، ٥٣)

وتقول الأساطير المتعلقة بالقرين في مختلف دول العالم ودولتنا أنه يخلق جني متزامنًا مع ميلاد كل طفل يشبهه من جميع الجهات سواء أكانت روحية أو جسمية. وهذا التشابه على درجة إذا حصل للقرين فرح أو حزن أثّر ذلك في الإنسان أيضًا (عوفي، ١٣٧٤: ٨٦).

كان الإيمان بكائنات أساطيرية وخيالية شائعًا في المعتقدات الشعبية القديمة منها كائن يسمى قرينًا. ووفقًا لهذه المعتقدات لكل شخص قرين يعيش متزامنًا معه في مكان يسمى عالم الأفضلين منا وينمو معه. وكان المصريون القدماء مؤمنين بأن للأحياء قُرَناء يسمون (كا) (أحمد، ١٩٤٥: ٢١٣).

هذا وأشيرت إلى القرين في ديوان الشريف بكلمة "لِدَة":

كنت قريني ولست من لدتي كنتَ نَسيبي وَلَستَ من نَسَبي

(الرضي، ١٩٩٥: ٢٢٠).

النتائج

إن ديوان الشريف الرضي بصفته عملًا أدبيًا بارزًا مليء بالمعتقدات الشعبية مثل الدمع الدموي والإصابة بالعين وامتلاك الجبين والإيمان بالبخت والحظ ومرض العشق والقرين وهذا يدل على اطلاعه الكامل على حياة الناس اليومية ومعتقداتهم. ولم يدل انعكاس هذه المعتقدات الشعبية التي بعضها خرافات في أشعاره على انحطاط شخصيته وإيمانه بالخرافات وإنما كان قصده زيادة الفائدة البلاغية لأشعاره فمثلًا استخدم الاعتقاد الخرافي بالدمع الدموي في شعره حتى لا يفتضح وليستطيع في نفس الوقت أن يعبر عن حدة احتراق كبده ويحافظ على متانة كلامه وبلاغته. أما الهدف الثاني الذي كان يتبع الشريف الرضي من وراء استخدام مثل هذه المضامين في أشعاره فهو زيادة شهرته بين الناس، وتدل شهرة أشعاره في المجتمع الأدبي على شخصيته الأدبية وقد عبرت طبعًا من مصفاة ذوق ذهن خلاق وبراعته وهي بعيدة عن الابتذال والفجور وتعبر عن بعده الجماعي والشعبوي. ويمكننا أن نقول إن هذه العناصر ساعدت في جعل أشعار الرضي ملموسة للمخاطب وقابلة للفهم له. إذن يصبح فهم أشعار الشريف الرضي أسهل بواسطة إدراك صحيح للمعتقدات الشعبية. كذلك يجعلنا هذا الإدراك نقترب إلى طرف من المعتقدات الشعبية في عصر الرضي.

Keywords: sharif razi, Folklore ،folk beliefs, superstition.

قائمة المصادر و المراجع

- القرآن الكريم
- ابن سينا، الحسين بن عبد الله، (١٣٥٤)، القانون في الطب،مترجم: نادر كريمىان سردشتى، نشر كاشان.

- إسماعیل، عزالدین،(٢٠٠٩.) في الأدب العباسي ؛ الرؤية والفن، ط ١، بیروت: دار النهضة العربیة.
- أحمد، جبار أحمد، (١٩٤٥)، تقالید و عادات الشعبیة، لبنان: التراث الشعبي.
- بیهقی، حسینعلی،(١٣۶٧)، پژوهشی دربارهی فرهنگ عامه ایران، چاپ دوم، موسسه چاپ و انتشارات آستان قدس رضوی.
- التهانوی، محمد علی،(١٩٩۶)، .موسوعة اصطلاحات الفنون و العلوم، بیروت: مکتبة لبنان، ج١.
- الثعالبي النیشابوری، أبو منصور عبدالملك،(٢٠٠٠)، یتیمة الدهر، شرح وتحقیق: مفید محمد قمیحه، بیروت: دار الکتب العلمیة.
- حجار خرفان، طاهر، (١٩٨١). الاتجاه الشعبي في العصر العباسي الأول، السعودیة: جامعة القري.
- حسیني جرجاني، اسماعیل بن حسین،(١٣٨۴) .ذخیرهي خوارزمشاهي، ج٢، ترجمة: محمد تقي دانش پژوه و ایرج افشار، تهران: انتشارات المعي.
- خرمشاهي، بهاءالدین،(١٣٧۶) ،چشم زخم، در خاطره شط، به کوشش روزبه صدرآرا، چاپ اول، تهران: انتشارات جاویدان.
- دهخدا، علي اکبر،(١٣۶٠) . لغت نامه، زیر نظر محمد معین و سید جعفر شهیدي، تهران: سازمان لغت نامه.
- ذکاوتي، قراگزلو، علیرضا،(١٣۶۶)، «شعر عامه پسند در ادب عربي و شاعران پیشه ور و عامي»، مجله کیهان فرهنگي، شماره ۴۶.
- روح الأميني، محمود،(١٣۶٨)، زمینه فرهنگ شناسي، ج ١، تهران، انتشارات نقش جهان.
- زکي مبارك، محمد، (١٩٨٨)، عبقرية الشريف الرضي،، بیروت- لبنان: دارالجیل.
- سلحشور، مریم،(١٣٨۴)، باورهاي عامیانه در شعر صائب، فصلنامه ادبیات فارسي، از ص ١٢٣ تا ١٣٥، بهار.
- شکري فرحات، یوسف،(١٩٩٥)، دیوان الشریف الرضي،بیروت، دارالجیل.
- شمیسا، سیروس،(١٣٧٧) .فرهنگ اشارات ادبیات فارسي، تهران، انتشارات فردوسي.
- شیخ صدوق،(١۴١٣)، من لا یحضره الفقیه ، مترجم: محمد باقر بهبودي، تهران، انتشارات کویر.
- صادر، کارین، (٢٠٠٧). أدب التحامق في العصر العباسي، مجلة المعرفة، شماره ٥٢۴.

- صادق الجمال، أحمد،(١٩٦٦)، الأدب العامي في مصر في العصر المملوكي، القاهرة: دار القومية للطباعة و النشر.
- ضيف، شوقي،(٢٠١٠)، تاريخ الأدب العربي، ج٤، قم: انتشارات ذوي القربي.
- ـــــ،(١٩٧٧). الشعر و طوابع الشعبية علي مر العصور، القاهرة: طبع دار المعارف بمصر.
- طاهري سروتمين،(١٣٩٠)، فاطمه، باورهاي عاميانه در ديوان بيدل دهلوي،كرمان: دانشگاه شهيد باهنر كرمان.
- عطوي، علي نجيب،(١٩٩٣،). الشعر في العصر العباسي: مظاهره وأهم اتجاهاته، بيروت: مؤسسه عزالدين.
- عوفي، سديد الدين محمد،(١٣٧٤). حواشي جوامع الحكايات و لوامع الروايات، ترجمه جعفر شعار، چاپ پنجم، تهران، شركت انتشارات علمي و فرهنگي.
- الفراهيدي، خليل بن احمد، (١٤١٠)، العين ، قم : انتشارات هجرت.
- محجوب، محمد جعفر،(١٣٨٢)، ادبيات عامه ايران،به كوشش حسن ذوالفقاري، تهران، نشر چشمه.
- محمدي، هاشم،(١٣٨٦)، «چشم زخم در ادب و فرهنگ ايران»، مجله حافظ، شماره ۴۴، ص ۱۰ تا ۱۲، شهريور.
- مظهري صفات، شيما، (١٣٨٩)، «بررسي عناصر و فرهنگ عامه در غزليات صائب تبريزي» كرمان، باهنر.
- مصطفي سعد الهادين، حاسي، (٢٠١٣)، الشعراء الشعبيون القدامي- دراسة تحليلية و شروح، مشهد: كتابخانه تخصصي آستان قدس رضوي.
- المرزوقي، محمد، (،١٩٦٧)، الادب الشعبي في تونس، تونس: طبع الدار التونسية للنشر.
- الحلي، صفي الدين،(١٩٨١)، العاطل الحالي و المرخص الغالي، تحقيق الدكتور حسين نصار، الهيئه المصرية العامة للكتاب.
- واريـنگ، فلـيپ،(١٣٧١)، فـرهنگ خرافـات، ترجمـه و گـردآوري از احمـد حجاران، تهران: مترجم.
- ياحقي، محمد جعفر(١٣٨۶)، فرهنگ اساطير و داستانواره‌ها در ادبيات فارسي، تهران: معاصر..
- داستايفسكي، فئودور،(١٣۶٨)، همزاد ، مترجم: نسرين مجيدي، تهران: نقره.
- هدايت، صادق،(١٣۵۶)، فرهنگ عاميانه مردم ايران، تهران، نشر چشمه.